# الكوارث الطبيعية على بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين (07هـ/09هـ) (13م-15م)

**د. محمد عيساوي**

aissaouim17@gmail.com

**جامعة محمد بوضياف المسيلة**

**الملخص :**

تؤرخ هذه الدراسة للكوارث الطبيعية في بلاد المغرب خلال العصور الوسطى؛ وبالضبط فيما بين القرنين(07هـ)(09هـ)(13م-15م)؛حيث ترصد مختلف الكوارث الطبيعية وأبرزها المجاعات، والأوبئة والأمراض، و كذا العواصف والفياضانات، كما أن الدراسة تبين مختلف السلوكات الناتجة عن هذه الأزمات ومنها سلوكات متعلقة بالسلب والنهب وأخرى ذات علاقة بالاحتكار والهجرة، و كذا التضامن والتكافل، كما تبرز الدراسة أيضا ردود أفعال الإنسان المغاربي إزاء هذه الكوارث والأزمات، سواء كانت على مستوى المجتمع أو على مستوى الدولة.

وفي الأخير تحاول هذه الدراسة إجراء مقاربة جزئية بين "نظرية التحدي و الاستجابة" لأرنولد توينبي ، و ما أبدعه السكان المغاربة من أساليب لتحدي الأزمات الطبيعية .

**الكلمات المفتاحية:**

الكوارث الطبيعية– العواصف – المجاعات – الأوبئة – الأزمات _ نظرية التحدي والاستجابة –المغرب الإسلامي .

**الملخص باللغة الانجليزية :**

This study gives a detail on the history of the natural crises experienced in the Maghreb in the Middle Ages, precisely between the seventh and ninth centuries

of the Hegira (thirteenth and fifteenth century), and which follows in particular, the most important problems such as famines, epidemics, as well as storms and floods. The study also shows various behaviors resulting from these crises including looting-related behaviors and others due to monopoly and immigration.

This study also highlights the reactions of the Maghrebian man to these disasters, both at the level of the individual and that of the state.

Finally, the researcher attempts to make an approach between Arnold Toynbee's challenge-response theory and the methods presented by the Maghreb population of the time to confront and challenge natural crises.

**الكلمات المفتاحية باللغة الانجليزية :**

**Natural Disasters – Storms–Famines–Epidemics–The Crises–Challenge and Response Theory_ Islamic Maghreb .**

## المقدمة :

يعتبر مجال الدراسة في موضوع الكوارث الطبيعية وتأثيرها على مجال البيئة و الإنسان من المواضيع البحثية المتجددة عبر العصور، خاصة وأن هذا الموضوع يمثل حسب آراء كثير من الباحثين في التاريخ الوسيط تمثلا من تمثلات النظريات الفلسفية التي سبرت غور الأزمة في صياغة ثنائية بُعدها الأول "التحدي" الذي يمثل الأزمة وبُعدها الآخر وهو "الاستجابة" وهذا ما اهتم المفكر الفيلسوف ارنولد توينبي، كما أن المرجعية المغاربية اهتمت برصد تلك الأزمات في مدونتها التراثية – بمختلف أنماطها – ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب بل إلى توظيف آليات وأجهزة كفيلة بمواجهة تلك الأزمات .

## مشكلة البحث :

تتحرى هذه الورقة البحثية التطرق إلى إشكالية محورية مفادها:ما هي أشهر الكوارث الطبيعية التي مرت بها منطقة المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط عموما والمغرب الأوسط – الجزائر – خصوصا؟ ماهي إسهامات المدونة الفقهية المغاربية في رصد الأجهزة والآليات لمواجهة الأزمات التي مرت بها؟ وكيف يمكن توظيف تلك الأجهزة في

الوقت المعاصر؟ كيف كانت ردود السلطة السياسية على تلك الأزمات التي مرت بها؟ كيف أثرت تلك الأزمات على نفسية الساكنة على مستوى الحاضرة والبادية؟ كيف يمكن توظيف نظريات الفلاسفة و منهم أرنولد توينبي في تفسير الأزمات؟

**أهداف الدراسة :**

- تتبع الكوارث و الأزمات الطبيعية التي مرت بها الجزائر باعتبارها إقليم مهم و جزء لا يتجزأ من المنطقة المغاربية .
- معرفة أهم المجاعات و الأوبئة و العواصف و السيول التي مرت بها بلاد المغرب عموما و الجزائر على وجه أخص .
- محاولة إدراك ردود أفعال الساكنة المغاربية إزاء الكوارث و الأزمات الطبيعية .

**أهمية الدراسة :**

تتقاطع عدة تخصصات مع علم التاريخ في دراسة الكوارث ،و تختلف في نوع المقاربات المعتمدة في البحث بهذا الموضوع، ومن تلك التخصصات علم النفس ، و البيولوجيا ، و الجيولوجيا ،و المناخ ، و الديموغرافيا ،و الانثروبولوجيا ،و الأركيولوجيا. و من هذا المنطلق نحاول بيان أهمية علم التاريخ في تناول تلك الأزمات و الكوارث الطبيعية من زاويته الأصيلة المستقلة .

مباحث الدراسة :

لمحة عامة عن التأريخ للأزمات والكوارث الطبيعية

المبحث الأول : المجاعات

المبحث الثاني : الأوبئة

المبحث الثالث : العواصف و السيول

المبحث الرابع : ردود أفعال الإنسان المغاربي إزاء الأزمات و الكوارث الطبيعية :

المبحث الخامس : نظرية توينبي و أهميتها في جانب علاقة الأزمة الطبيعية بصنع الحضارة :

لمحة عامة عن التأريخ للأزمات والكوارث الطبيعية : [1]

يعتبر موضوع تأريخ الأزمات الطبيعية من المواضيع البحثية المتجددة،كما يُمَثِّلُ حوارا "جِدِّياً " بين تاريخ الطبيعة وتاريخ الإنسان،حوارا يروم اختبار صحة مقولة "جدلية التَّحدِّي والاستجابة" بتعبير الفيلسوف أرنولد توينبي،ويكشف عن سقف التفاعل بين المتغيرات المناخية والإفرازات السلوكية والذهنية للإنسان،كما أنه يُعَدُّ وبكل المقاييس موضوعا إشكاليا مفعما بالمطبَّات التي تمتزج فيها ندرة المتون النصية بالتعقيدات المنهجية التي تفرضها طبيعة موضوع بهذه الشاكلة.[2]

**المبحث الأول : المجاعات** [3]

لم يكن مصطلح **المجاعة** مُوحَّد الاستعمال في سائر المصادر التاريخية؛فكتب المناقب مثلا اصطبغت فيها كلمة المجاعة بصبغة دينية محضة،وفضلت استخدام لفظ المسغبة الذي هو مرادف لها،وقد سارت المصادر الفقهية في تصورها للمجاعة على نهج كتب المناقب،فإضافة إلى مرادفات عديدة للمجاعة استخدمتها كالقحط والجوع الشديد والخصاصة والمجاعة والشِّدَّة،إلا أن المصادر الفقهية آثرت في كثير من الأحيان استعمال لفظ المسغبة أيضا.[4]

وتعتبر ظاهرة المجاعات من أهم الأزمات التي شهدتها بلاد المغرب،وترجع حسب العلامة المؤرخ ابن خلدون إلى عوامل بشرية أهمها فقدان الادخار،وعدم الاستقرار،وعوامل أخرى تتعلق بالمناخ وأهمها قلة تساقط الغيث. و لخصها في قوله :"ثم إن المجاعات و الموتان تكثر،في آخر الدول ، و السبب فيه فلقبض الناس أيديهم عن الفلح،في الأكثر بسبب ما يقع آخر الدولة من العدوان ،في الأموال و الجبايات أو الفتن الواقعة في أنقاض الرعايا و كثرة الخوارج لهرم الدولة ." [5]

**أولا : المجاعات : المسببات و النماذج**

تقف عدة مسببات وراء المجاعات ؛ فهناك ما يتعلق بالجانب الطبيعي ، و هناك قسم آخر وطيد الصلة بالإنسان ، وسنقف فيما يلي على نبذة يسيرة منها رفقة نماذج موجزة تتعلق بتاريخ الجزائر:

**1- الحروب و الفتن و علاقتها بالمجاعات :**

تعتبر الحروب والثورات والفتن أهم الكوارث التي شكلت مصدر خطر لساكنة المغرب،ومن النماذج على ما سبق اجتياح بني غانية لبجاية،والتنافس الشديد بين كيانات سياسية ثلاث أولها الحفصية وثانيها الزيانية وآخرها المرينية؛و أشهرها الحصار الذي تعرضت له مدينة تلمسان الذي قاده أبو يعقوب يوسف المريني ، بحيث أحاط بها العسكر من جميع جهاتها، فنال سكانها الجوع ، ما لم ينل أمة من الأمم "فاضطروا إلى أكل الجيف و القطط و الفئران و أشلاء الموتى"[6]على حد قول ابن خلدون، و ارتفعت أسعار المواد الغذائية ، و أطلق المرينيون أيديهم على المنازل "نهبا واكتساحا"[7] و أصدورا أمرا بقتل كل من يُدخل بضاعة أو مواد غذائية إلى مدينة تلمسان ، وبلغ عدد الموتى من أهل تلمسان قتلا وجوعا وتشريدا زهاءمائة وعشرين ألف نسمة .[8]

وكذا تحرشات الإسبان على الساحل المغربي بالإضافة إلى الفتن الداخلية التي جرت لأجل الوصول إلى السلطة.[9]

كما أن الهلاليين أثروا في بلاد المغرب الأوسط بسلوكياتهم التي تحكَّمت في ملكيات الناس و التَّسَبُّب في فقرهم[10]؛ فلقد كانت بلاد المغرب الأوسط قبل مجيء أعراب بني هلال لها دور نشيط في التجارة الصحراوية ،فكانت ورجلان و تلمسان و تيهرت من أهم المحطات التجارية للقوافل الآتية من بلاد السودان مصدر الذهب و الرقيق الأسود،خصوصا في العهد الرستمي.[11]

**2- الضرائب :**

تعتبر الضرائب المجحفة من أهم المسببات الرئيسة للمجاعات ،و لقد أشار المؤرخ ابن خلدون أن الدولة عندما تستحدث مغارم و ضرائب جديدة أن ذلك "يؤذن باختلال العمران و يعود على الدولة و لايزال بذلك يتزايد إلى أن تضمحل."[12] و المطلع على النظام الضريبي السائد طيلة الحقبتين الحفصية و الزيانية يلحظ مدى تأثر الفلاحين بالمكوس و المغارم المفروضة عليهم.و أدى إلى تراجع النشاط الفلاحي فأدى ذلك كنتيجة لازمة إلى تراجع الأقوات و البضائع التي يتم نقلها من البوادي و الأرياف إلى الحواضر و المدن ، مما أدى إلى اختلاف ميزان العرض و الطلب فأدى إلى مدرة السلع ، ثم أدى في نهاية المطاف إلى حدوث المجاعات . [13]

**جدول يبين علاقة الحوادث السياسية بالمجاعات** [14]:

| السنة | المكان | الحدث | الآثار الناتجة عنه |
|---|---|---|---|
| 581هـ/606هـ<br>1185م/1209م | بجاية والمغرب الأوسط | هجوم بنو غانية | أعمال النهب،وإفساد الزروع والأنعام.<br>الخراب العمراني لبعض المدن مثل تاهرت.<br>وقوع مجاعة محلية ببجاية،ثم أعقبها وباء سنة 588هـ/1192م |
| **588هـ**<br>**1192 م** | قسنطينة | حصار بنو غانية لقسنطينة | قطع بنو غانية للماء عن قسنطينة،واشتداد الحصار على أهلها. |
| 605هـ<br>1208م<br>640هـ/<br>1242 م | تلمسان | حصار بنو غانية وأحلافهم لتلمسان<br>توجه السلطان الحفصي أبو زكريا الأول لاحتلال تلمسان | تخريب العمران ،نهب الزروع .<br>أعمال النهب و القتل .<br>أخذ الجباية عن أهلها بعد احتلالها. |

| | | | |
|---|---|---|---|
| 659 هـ<br>1260م | مليانة | ثورة أبو علي المليانيو خروجه عن الحفصيين و حصار هؤلاء لمدينة مليانة | اشتداد الحصار على أهالي مدينة مليانة. |
| | **الجزائر** | ثورة أهل الجزائر ثم حصار الحفصيين لها | عمليات القتل و نهب المنازل |
| | **وهران** | | |

### 3- آفة الجراد:

شكَّل الجراد آفة طبيعية خطيرة على الإنسان وموارده في كل عصر وفي كل مصر،و كان تأثيرها بالغا في بلاد المغرب ،ذلك أن هجومه المفاجئ بأسراب عديدة على المزروعات و المغروسات غالبا ما كان يتسبب في مضاعفات سلبية وفي مقدمتها المجاعات وأمراض سوء التغذية .

وعلى ضوء دراسة أجريت لتفكيك ألغاز الجراد المهاجر اتضح "أن المناطق الصحراوية الحارة شكلت بيئة مواتية لاستيطان الجراد." فكانت الصحراء بمناخها الحار و ما تزال موطن انبعاث الجراد الجوَّال المتجه نحو المغرب ،وعادة ما كان اكتساحه يخلف دمارا بيئيا،وعجزا غذائيا إن لم نقل مجاعة فجائية بدليل"قدرته الفائقة على إتلاف مئات الأفدنة يوميا."[15]

ومن النماذج على تأثير الجراد،ما وقع في كامل بلاد المغرب سنة 624 هـ / 1228 م فأتى على المحاصيل بكل أشكالها وأنواعها،فأدى ذلك إلى ارتفاع سعر القمح و شتى المواد الغذائية ، و عاودت أسراب الجراد حملاتها سنة 630هـ/1232م، فأد ذلك إلى مجاعة من أقصى الشرق إلى أقصى المغرب ، فندرت الأقوات ، و نقصت الغلات،وقل مردود الأرض . [16]

### 4- نتائج المجاعات :

- **يعد** النزيف الديموغرافي من بين نتائج القحوط والمجاعات،واستهدف بصفة أشد شريحة العوام التي تمثل قاعدة هرم المجتمع،ومن سلم من الهلاك عاش محنة التضور جوعا،فضلا عن وجود القابلية لاستفحال الأمراض والأوبئة.[17]

- شهدت بعض الفترات الزمنية مثل القرن الثامن الهجري(14م)أقل نسبة من القحوط والمجاعات،والراجح أن ذلك يعود من جهة إلى جهود دول القرن الثامن الهجري في إنشاء المرافق الصحية وتشجيع الإنتاج الفلاحي وأعمال البر و التضامن،و من جهة أخرى إلى انشغال المؤرخين بالوباء الذي ابتلي به إنسان العدوتين خلال النصف الثاني تقريبا من القرن الثامن الهجري(14 م) .

**المبحث الثاني : الأوبئة**

تأتلف غالب المفاهيم العلمية لمصطلح الوباء أنه مرض عامل حاصل بسبب"فساد الهواء"،[18] ولقد وقع خلط بين مصطلحي الوباء والطاعون دون أن تفرق بينهما،مما يصعب معرفة نوع المرض الوبائي لأي فترة زمنية يحدث فيها ،في كان الوباء في الإصطلاح العلمي أشمل وأعم من مرض الطاعون،فكل طاعون وباء و ليس كل وباء طاعونا.[19]

ولقد ظهرت على سبيل المثال العديد من الأمراض الوبائية في تلمسان خلال العهد الزياني و من أهمها مرض البلعوم (الحنجرة)الذي ينجم عنه التهاب الحلق و تورمه فترتفع درجة حرارة المريض .وكذا مرض الذبحة الصدرية ، مرض الدماميل و الأورام التي كانت منتشرة بتلمسان ، و أمراض المعدة [20]

واستند العلاج أساسا على الأدوية النباتية واللقاح، وإجراء الاسهال و تطهير و الأمعاء ، و الحجامة و هي أكثر الإجراءات العلاجية شيوعا و كان العلاج يتم تحت إشراف الأطباء في بيمارستان (مستشفى) المدينة ويعمل بالمستشفى الأطباء و الحكماء ،لمداواة المرضى و معالجتهم و التخفيف من آلامهم، و معاناتهم،و كانت به عدة غرف

متخصصة للحمى و المجانين .و من أشهر فقهاء العصر الفقيه الصالح محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1489م)الذي درس العلوم الطبية ،وربط بين الدين و الطب و استعان بالأحاديث النبوية في المجال الطبي و التزم بتوجيهاتها في علاجه.[21]

ومن أشهر و أشد الأزمات الصحية التي مرت بها بلاد المغرب الوسطى (الجزائر حاليا ) و بالأخص تلمسان **"الطاعون"** حيث انتهى الباحث عبد العزيز فيلالي أن هذا الوباء الجارف يعد من أشد الجوائح الطبيعية و أكثرها فناءا للبشرية و فتكا بها، فقد عرفته بلاد المغرب عامة و تلمسان خاصة ، خلال العهد الزياني ، فكان يظهر على رأس كل عشر سنوات ، أو خمس عشر سنة أو عشرين سنة تقريبا ، و يذهب بالآلاف من الناس. و قد اجتاحها سنة 750هـ / 1349 م .[22]

**المبحث الثالث : العواصف و السيول**

شهدت المنطقة الوسطى الشمالية من المغرب كوارث طوفانية زاد من حدتها اندلاع الرياح والعواصف، وتزامن ذلك مع حروب ضروس بين المرابطين والموحدين. ومعلوم أن هذه الفياضانات جاءت بعدما عانى سكان المغرب من مجاعة سنة خمس وست وثلاثين وخمسمائة ،مما هيَّأ الظروف لحدوث الأوبئة في وقت ارتفعت فيه أسعار المواد الاستهلاكية .[23]

ومن النصوص التاريخية القيمة التي تكشف الأثر التخريبي للسيول الجارفة، والتي أشار إليها الباحث عبد الهادي البياض، هو ما ذكره أحد المؤرخين في سياق الحملة التي قام بها الموحدون لرد بني غانية عن بجاية سنة 581 هـ / 1185م،فلما وصلت الجيوش الموحدية إلى مدينة فاس "أمسكهم بها ترادف الأمطار، وتعذر الطريق بالوحل ومدود الأنهار إلى أن صحت السماء وجفَّت الأنواء ."[24]

و لقد عاصر المؤرخ يحي بن خلدون أحد الأعاصير الذي خلف دمارا و مجاعة سنة 776هـ / 1373م حيث قال عن تلك المجاعة :" إنها نتجت عن إعصار عظيم، أهلك

زرع صائفة تلمسان و حيوانها، فأكل الناس بعضهم بعضا، وافتقروا إلى ما لدى السلطان." الذي تصدق بنصف جبايته على الضعفاء من أهل تلمسان .[25]

**المبحث الرابع : ردود أفعال الإنسان المغاربي إزاء الأزمات و الكوارث الطبيعية :**

كشفت الكوارث الطبيعية ردود أفعال متباينة ،عبر عنها الإنسان المغاربي خلال العصور الوسطى في شكل إفرازات ذهنية وسلوكية ،سعيا منه للحد من خطورة السيول و القحوط والأمراض والأوبئة ،فتارة كانت المواجهة تتخذ صور سلوكات عدوانية كالسطو و النهب و التعدي ،و تارة أخرى تظهر في إفرازات ذهنية و ممارسات استسلامية تواكلية همها الانسحاب من واقع المعاناة بالفرار أحيانا، و الزهد أحيانا أخرى. ومن جانب آخر طفت على سطح المواجهات ذهنيات الشعوذة و السحر و الخرافة ،و التي ارتبط بها الإنسان و سخَّر طلاسمها كوسائط ادَّعى قدرتها على تخليصه من شبح الكوارث الطبيعية. [26]

**1- ممارسات السلب و النهب :**

أسهمت الكوارث المتلاحقة في مجال المغرب خلال الفترة المدروسة في ظهور سلوكات السطو والتعدي والنهب وقطع الطرق، وهي ممارسات عُدوانية انتفى بسببها العيش داخل المجتمع في مراحل حرجة ،استهدفت فيها مصادر عيش الإنسان سواء منها المنقولة أو الثابتة ،وذلك كما قال ابن المؤرخ ابن خلدون "بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الأموال ." [27]

**و لا** مراء في أن دائرة التلصص والحرابة قد استفحلت باتساع دائرة الضيق و الشدة ، الناجمتين عن الكوارث الطبيعية، وغدا العدوان على أموال الناس وأمتعتهم الخيار الأسهل لمقاومة تداعيات الأزمة الصعبة، وإلا ما الدَّاعي الذي حدا بالخليفة عبد المؤمن بن علي الموحدي أن يصدر مرسومين بشأن قطع دابر اللصوص و قطاع الطرق، لاستتباب الأمن في مدة زمنية لا تتجاوز ثماني سنوات. [28]

كما أسهمت الكوارث الطبيعية المتنوعة في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الثامن الهجري في رسم سلوكات عدوانية بمحاور الطرق والمسالك التجارية، وتفاقم ضرر عصابات اللصوص والحرابة ،فاعتبر أبو الحسن المريني (731هـ/752هـ)(1331م-1351 م)مسألة "تأمين السبل وتمهيد الطرق من أفضل الأعمال، كما إن إخافة السُّبُل من أقبح المعاصي "[29]

## 2- بث روح الأمان و السلام و التضامن سمات سياسة الدولة الرشيدة :

كان أغلب السكان في المغرب الاسلامي الوسيط ( الجزائر ) و أشهر عاصمة الزيانيين تلمسان خلال الأزمات الطبيعية و الكوارث يتميزون بالتضامن الاجتماعي و إغاثة المسكين و الفقير ، و كان في مقدمة المحسنين الفقهاء و المتصوفة و العائلات الميسورة ، وأهل الخير و من بين أولئك الذين أسهموا في فعل الخيرات أبو العباس أحمد بن مرزوق ، الذي كانت له مطامير من القمح و الفحم و الخليع و الزيت ،فقد كان يفتحها أمام الفقراء و المحتاجين، ويتصدق بها طوال يومه[30].

قام أبو الحسن المريني بتجسيد هذه المقولة عمليا من خلال تعمير "طرق المسافرين من حضرته بفاس إلى مراكش و إلى تلمسان وسبتة وغيرها من البلاد بالرتب يأمر سكانها على مقدار اثني عشر ميلا يسكنها أهل الوطن ويجري لهم على ذلك إقطاعا من الأرض يعمرونها (...) يلزمون فيها ببيع الشعير والطعام، وما يحتاج إليه المسافرون من الأدم على اختلافها والمرافق التي يضطرون إليها وبهائمهم ويحرسونهم ويحوطون أمتعتهم فإن ضاع بينهم شيء تضمنوه، فلا يزال المسافر كأنه في بيته وبين أهله فيذهابه وإقباله."[31]وهذه تعتبر حسب الباحث عبد الهادي البياض"سياسة أمنية مندمجة أتت أكلها في مراحل مناخية عصيبة، فانتعشت الحركة التجارية، ونشطت الأسفار و التنقلات بفضل استتباب الأمن و ضبط المحاور الرئيسة . "[32]

**المبحث الخامس : نظرية توينبي و أهميتها في جانب علاقة الأزمة الطبيعية بصنع الحضارة :**

سعى أرنولد توينبي إلى إثبات خطأ النظرية الطبيعية التي تزعم أن نشوء الحضارات يعود إلى علة رئيسة واحدة وهي البيئة ،فالبيئة السهلة ذات المناخ الملائم للزراعة والاستقرار، و التي تتوفر فيها المياه و مصادر الرزق، هي البيئة المناسبة ،وهي السبب المباشر والوحيد الذي يستحث الأمم على بناء الحضارات وتطويرها، في حين أن البيئة الصعبة تقف في طريق ولادة الحضارات و نموها . (33)

أما توينبي فقد سعى إلى إثبات خطأ هذه النظرية، من خلال استقرائه لمجموعة من الحضارات في مناطق مختلفة من العالم ،ومقارنته ببيئاتها الطبيعية المتباينة، وتوصل إلى خطأ هذه النظرية. (34) و رأى أنه ليس من الضروري أن تكون البيئة السهلة سببا في انبثاق الحضارة إلى حيز الوجود، وضرب عدة أمثلة ليبرهن على صحة ما ذهب إليه. بل ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث أنه يقف على الطرف النقيض من نظرية البيئة، ويعتبر أن الظروف الصعبة لا السهلة ،هي التي تستحث الإنسان على صنع الحضارات ،كما أن رقة العيش و الظروف السهلة ،تقف حائلا في وجه قيام الحضارات ، ويؤكد على خطأ مقوله هيرودوت :"مصر هبة النيل" و يرى أن الحضارة المصرية هي هبة المصريين الذين صنعوها ،فدلتا النيل كانت مغطاة بالمستنقعات و الأدغال و الإنسان المصري القديم هو الذي استصلحها و عدَّلها ليقيم عليها حضارته . (35)

و من خلال إحداث مقاربة بين نظرية التحدي و الاستجابة لأرنولد توينبي و ما عاشه أهل تلمسان نلحظ أن أهلها تعوَّدوا على تحدي الظروف الطبيعية و الأزمات القاسية و من بينها العواصف القوية ، التي كانت تحدث في آخر كل خريف خلال فصل الشتاء ، مصحوبة بالبرد و الصواعق و الثلوج ، و هذا المناخ هو الذي كانت تتميز به مدينة تلمسان و ضواحيها . فقد كانت أشد بلاد المغرب الأوسط بردا و تجلدا ، و هو مناخ يؤثر على الزرع و يفسد غلاته، ويعيق نمو الخضر ،و الفواكه و يتلفها ، وهذا هو

السبب الذي جعل أهل تلمسان حريصين على تخزين المؤن و المواد الغذائية في المطامير الكثيرة ، التي تحتوي عليها منازل تلمسان و دورها . (36)

**خاتمة :**

- كان للأزمات و الكوارث الطبيعية آثار عميقة على منطقة المغرب الإسلامي المستوى السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي و (لاسيما المجال الديموغرافي )
- تعتبر المجاعات أحد أبرز مظاهر الأزمات الطبيعية التي تعرضت له منطقة المغرب الإسلامي عموما و الجزائر خصوصا .
- برهن ساكنة الجزائر خلال مسار تاريخهم عموما و الزياني على وجه أخص على خصال نبيلة م ألا وهي روح التضامن و التكافل الاجتماعي في أوقات الشدائد و المحن.
- تبين من خلال الدراسة أثر العامل السياسي في بث روح الأمان و الاستقرار ،كما أنه وطيد الصلة بالعامل الاقتصادي حيث أن الاستقرار يشجع على النشاط الفلاحي و الحرفي مما يدر على الأمة مداخيل تُجنبها الفاقة و الحاجة .
- تأكد من خلال البحث أهمية فئة الفقهاء و الصلحاء و المتصوفة في إرساء العمل الخيري و الرعاية الصحية لأبناء الوطن الواحد .
- يتضح من خلال الدراسة أهمية تأريخ الأزمات و الكوارث الطبيعية من أجل معرفة سبل التعامل معها و خاصة فيما يتعلق بالعواصف و السيول و تحركات أسراب الجراد ، بحكم تأثيرها المباشر على أقوات الأمة .

**قائمة المصادر و المراجع :**

**أولا : المصادر :**

- ابن خلدون : العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ج07 طبعة بيروت 1968 و طبعة بولاق 1870 .
- الوزان حسن بن محمد الفاسي :وصف إفريقيا ، منشورات الجمعية المغربية ، الرباط ، المغرب ،1980 .

**ثانيا : المراجع :**

**1- الكتب :**

- البياض عبد الهادي:الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان،دار الطليعة،بيروت ، لبنان ،الطبعة الأولى ، 2008 م .
- البيلي محمد بركات:الأزمات الاقتصادية والأوبئة في مصر الإسلامية،مكتبة نهضة الشرق،القاهرة ، 1985 م
- البزاز محمد الأمين: تاريخ الأوبئة و المجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ،( دون تاريخ للنشر )
- بوتشيش القادري: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين ، الطبعة الأولى ،دار الطليعة ،بيروت ، لبنان ،1998 م .
- بولقطيب الحسين:جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين،مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ، المغرب ، 2002 م .
- خوجة حمدان بن عثمان :إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء،تحقيق محمد بن عبد الكريم،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،1968 م .
- فيلالي عبد العزيز : تلمسان في العهد الزياني ،موفم للنشر ، الجزائر ، 2002 م
- الصاوي أحمد السيد:مجاعات مصر الفاطمية،دار التضامن،بيروت،لبنان،الطبعة الأولى، 1988 م

**ثانيا : المقالات :**

- أحمد السعداوي :"المجاعات و الأوبئة في تاريخ الغرب الإسلامي : النتائج الديموغرافية" ضمن كتاب الديموغرافية التاريخية في تونس و الوطن العربي ،دار سراش ، تونس ،1993 م .
- محمد الأمين البزاز:"الجراد والجوع والأمراض في المغرب خلال العصور القديمة الوسطى"،مجلة المناهل ، الرباط ، العدد 69 ، 70 ، 2004 م .
- محمد الناصري :"الكوارث الطبيعية و الحتمية التاريخية" ، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط ، المغرب ، العدد 15 .
- أحمد حدادي:"أخبار الأوبئة والأمراض في الرحلات السفارية المغربية"،مجلة كنانيش، العدد 03 ، خريف2001م .

**ثالثا : أطاريح جامعية :**

– سمية مزدور:المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط(588هـ/927هـ)(1192م/1520م) ،أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط،إشراف:محمد الأمين بلغيث،قسم التاريخ والآثار،جامعة منتوري ،قسنطينة ، 1429هـ/1430هـ( 2008 _2009 م)

– سميرة المزكلدي: المجاعات و الأوبئة بالمغرب الوسيط ( 534 هـ _ 776 هـ ) ( 1139 م– 1375 م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، كلية الآداب ، ظهر المهراز ، فاس ، 1424 هـ / 1425 هـ ( 2003 م _ 2004 م )

([1]) _ أسهمت المصادر التاريخية الاسلامية في مجال التأريخ للأزمات الطبيعية و من الذين اسهموا في ذلك المؤرخ ابن خلدون الذي اعتبرها مؤشر لأعمار الدول ، كما ألف المقريزي كتابا يوضح أثر ذلك ، ألا و هو إغاثة الأمة بكشف الغمة ، كما أن الكاتب E.Le Roy Laduriكتب في هذا المجال :"تاريخ المناخ منذ سنة ألف " صدر في عام 1967 م .

([2]) _ ، البياض عبد الهادي:الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان،دار الطليعة،بيروت ، لبنان ،الطبعة الأولى ، 2008 م ، ص 07 من مقدمة القادري بوتشيش .

([3]) _ و يطلق على مصطلح المجاعة مصطلح الأُلبة

([4]) _ مزدور سمية : المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط(588هـ/927هـ)(1192م/1520م) ،أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط،إشراف:محمد الأمين بلغيث،قسم التاريخ والآثار،جامعة منتوري ،قسنطينة ، 1429هـ/1430هـ( 2008 _2009 م) ص ص 18 ، 19 .

([5]) _ ابن خلدون : المقدمة ، ص 282 .

([6]) – ابن خلدون : العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مطبعة بيروت 1968 و طبعة بولاق 1870 ،ج07 ، ص197، 198 .

([7]) – ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 197 ، 198 .

([8]) – فيلالي عبد العزيز : تلمسان في العهد الزياني ،موفم للنشر ، الجزائر ، 2002 م ، ص 257 .

([9]) _ مزدور سمية: المجاعات و الأوبئة في المغرب الأوسط ، ص 94 .

([10]) _ مزدور سمية: المرجع السابق ، ص 97 .

([11]) _ نفسه: ص 99 .

([12]) _ ابن خلدون : المصدر السابق ،263.

([13]) _ مزدور سمية : المرجع السابق ، ص 74 – 90 .

([14]) _ نفسه : ص ص 90 ، 91 .

([15]) _ البياض عبد الهادي: المرجع السابق ، ص 60 .

([16]) _ فيلالي عبد العزيز : المرجع السابق ، ص 253 .

([17]) _ عبد الهادي البياض : المرجع السابق ، ص 43 .

([18]) _ مزدور سمية : المرجع السابق ،ص21 .

([19]) _ مزدور سمية: المرجع السابق ص21 .

([20]) _ فيلالي عبد العزيز :المرجع السابق ، ص 245 .

([21]) _ نفسه: ص 250 .

([22]) _ نفسه: ص 251 .

([23]) _ البياض عبد الهادي :المرجع السابق ، ص 46 ، 48 .

([24]) _ البياض عبد الهادي : المرجع السابق ، ص 51 .

([25]) _ فيلالي عبد العزيز: المرجع السابق ، ص 255 .

([26]) _ البياض عبد الهادي : المرجع السابق ، ص 78 .

([27]) _ ابن خلدون : المقدمة ، ص 320 ؛عبد الهادي البياض : المرجع السابق ، ص 79

(28) _ عبد الهادي البياض : المرجع السابق ، ص 82 .
(29) _ ابن مرزوق : المسند الصحيح ،ص 429 ؛ عبد الهادي البياض : المرجع السابق ، ص 86 .
(30) _ فيلالي عبد العزيز : المرجع السابق ، ص 255 نقلا عن المجموع .
(31) _ ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص 429 .
(32) _ عبد الهادي البياض : المرجع السابق ، ص 86 .
(33) _ زياد عبد الكريم النجم : تونبني و نظريته التحدي و الاستجابة ،الهيئة العامة السورية للكتاب ، سوريا ،مكتبة الأسد ، 2009، ص 79 ، 80 .
(34) _ محمود صبحي أحمد : في فلسفة التاريخ ، ص 269 .
(35) _ زياد عبد الكريم النجم : المرجع السابق ، ص 80 .
(36) _ فيلالي عبد العزيز : المرجع السابق ، ص 256 ؛حسن الوزان : وصف إفريقيا ،الجمعية المغربية ، الرباط ، المغرب ، ج01،ص 65 .